

سورة غافر

سورة المؤمن

قال أبو سليمان الدمشقي: ويقال لها: سورة الطول. وهي مكية قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة. وحكي عن ابن عباس وقتادة أن فيها آيتين نزلتا بالمدينة قوله { لَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ } والتي بعدها. [المؤمن/ 35-36] قال الزجاج: وذكر أن الحواميم كلها نزلت بمكة. قال ابن قتيبة: يقال: إن { حم } اسم من أسماء الله أضيفت هذه السورة إليه، كأنه قيل: سورة الله، لشرفها وفضلها، فقيل: آل حاميم، وإن كان القرآن كله سور الله وإن هذا كما يقال: بيت الله وحرمة الله وناقته الله، قال الكميت:

وجدنا لكم في آل حاميم آية تأولها منا تقي ومعرب

وقد تجعل حمم اسما للسورة، ويدخل الإعراب ولا يصرف، ومن قال هذا في الجميع: الحواميم كما يقال { طس } والطواسين. وقال محمد بن القاسم الأنباري: العرب تقول: وقع في الحواميم وفي آل حميم، أنشد أبو عبيدة:

حلفت بالسبع اللواتي طولت وبمئين بعدها قد أمئيت

وبمئتان ثنيت فكررت وبالطواسين اللواتي ثلثت

وبالحواميم اللواتي سبعت وبالمفصل اللواتي فصلت

فمن قال: وقع في آل حاميم، جعل حاميم اسما لكلهن. ومن قال: وقع في الحواميم، جعل حم كأنه حرف واحد بمنزلة قابيل وهابيل. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: من الخطأ أن تقول قرأت الحواميم، وليس من كلام العرب، والصواب أن تقول: قرأت آل حاميم، وفي حديث ابن مسعود إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات، وقال الكميت:

وجدنا لكم في آل حاميم آية

بسم الله الرحمن الرحيم

{ حم * تَنْزِيلُ لِكِتَابٍ مِنَ اللَّهِ لِعَزِيزٍ لَعَلِّمْ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ
التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلُوعِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرُ }
وفي { حم } أربعة أقوال:

أحدها: قسم أقسم الله به وهو من أسمائه عز وجل، رواه ابن أبي
طلحة عن ابن عباس. قال أبو سليمان: وقد قيل: إن جواب
القسم قوله { إِنَّ لِدِينِ كَفَرُوا يُتَادَوْنَ } [المؤمن / 10].
والثاني: أنها حروف من أسماء الله عز وجل، ثم فيه ثلاثة أقوال:
أحدها: أن { الر } و { حم } و { نون } حروف الرحمن، رواه عكرمة
عن ابن عباس.

والثاني: أن الحاء مفتاح اسمه حميد والميم مفتاح اسمه مجيد،
قاله أبو العالية.

والثالث: أن الحاء مفتاح كل اسم لله ابتداءً حاء مثل: حكيم
وحليم وحي، والميم مفتاح كل اسم له ابتداءً ميم مثل ملك
ومتكبر ومجيد، حكاه أبو سليمان الدمشقي. وروي نحوه عن عطاء
الخراساني.

والثالث: أن معنى { حم } قضي ما هو كائن رواه أبو صالح عن
ابن عباس. وروي عن الضحاك والكسائي مثل هذا، كأنهما أرادا
الإشارة إلى { حم } بضم الحاء وتشديد الميم قال الزجاج وقد
قيل في { حم } حم الأمر.

والرابع: أن { حم } اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. وقرأ ابن
كثير { حم } بفتح الحاء، وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي:
بكسرهما، واختلف عن الباقيين. قال الزجاج: أما الميم فساكنة في
قراءة القراء كلهم إلا عيسى ابن عمر فإنه فتحها. وفتحها على
ضربين. أحدهما: أن يجعل { حم } اسماً للسورة، فينصبه ولا
ينونه، لأنه على لفظ الأسماء الأعجمية نحو هابيل وقابيل.

والثاني: على معنى اتل حم، والأجود أن يكون فتح لالتقاء
الساكنين حيث جعله اسماً للسورة، ويكون حكاية حروف الهجاء.
قوله تعالى: { تَنْزِيلُ لِكِتَابٍ } أي: هذا تنزيل الكتاب، والتوب:
جمع توبة، وجائز أن يكون مصدراً من تاب يتوب توباً، والطول
الفضل. قال أبو عبيدة: يقال فلان ذو طول على قومه أي: ذو
فضل. وقال ابن قتيبة: يقال طل علي يرحمك الله، أي: تفضل.
قال الخطابي: ذو حرف النسبة والنسبة في كلامهم على ثلاثة
أوجه: بالياء كقولهم: أسدي وبكري. والثاني: على الجمع

كقولهم: المهالبة والمسامحة والأزارقة، والثالث: ب { ذِي } و { ذَاتٌ } كقولهم: رجل مال أي: ذو مال، وكبش صاف، أي: ذو صوف، وناقه ضامر أي ذات ضمير فقوله: ذو الطول، معناه: أهل الطول والفضل.

{ مَا يُجَدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي لِبَاطِرٍ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا ، لِيَبْطُلَ لِيُذِجُوا بِهِ لِحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ }

قوله تعالى: { مَا يُجَدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ } أي: ما يخاصم فيها بالكذب لها ودفعها بالباطل { إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا } وباقي الآية في [آل عمران/ 196] والمعنى: إن عاقبة أمرهم إلى العذاب كعاقبة من قبلهم.

قوله تعالى: { وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ } فيه قولان: أحدهما: ليقتلوه، قاله ابن عباس، وقتادة، والثاني: ليحبسوه ويعذبوه، ويقال للأسير: أخذ حكاه ابن قتيبة. قال الأخفش: وإنما قال: ليأخذوه فجمع على الكل، لأن الكل مذكر ومعناه معنى الجماعة. وما بعد هذا مفسر في [الكهف/ 56] إلى قوله { فَأَخَذْتُهُمْ } أي: عاقبتهم وأهلكتهم { فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ } استفهام تقرير لعقوبتهم الواقعة بهم { وَكَذَلِكَ } أي: مثل الذي حق على الأمم المكذبة { حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ * لِعَذَابِ } وهي قوله { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ } [الأعراف/ 18] على الذين كفروا من قومك. وقرأ نافع، وابن عامر: { حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ }، { أَنَّهُمْ } قال الأخفش: لأنهم أو بأنهم { أَصْحَابُ النَّارِ }.

{ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ وَذَرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ لِقَاؤُ الْعَظِيمِ }

ثم أخبر بفضل المؤمنين فقال: { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ } وهم أربعة أملاك، فإذا كان يوم القيامة جعلوا ثمانية { وَمَنْ حَوْلَهُ } قال وهب بن منبه: حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة

يطوفون به، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة، ليس فيهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبحه الآخر، وقال غيره: الذين حول العرش هم الكروبيون وهم سادة الملائكة. وقد ذكرنا في السورة المتقدمة معنى قوله { يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ } [الزمر/75].

قوله تعالى: { رَبَّنَا } أي يقولون ربنا { وَوَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةٌ وَعِلْمًا } قال الزجاج: هو منصوب على التمييز. وقال غيره: المعنى: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء { وَغَفِرَ لِلَّذِينَ تَابُوا } من الشرك { وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ } وهو دين الإسلام وما بعد هذا ظاهر إلى قوله { وَوَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ } قال قتادة: يعني العذاب.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ * قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا نُنْتِنُ وَأَخِيَّتَنَا نُنتِنُ وَغَتَرْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ * ذَلِكَ يَأْتِي إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخَدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ }

قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ } قال المفسرون: لما رأوا أعمالهم وأدخلوا النار مقتوا أنفسهم لسوء فعلهم، فناداهم مناد: لمقت الله إياكم في الدنيا { إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ } أكبر من مقتكم أنفسكم.

ثم أخبر عما يقولون في النار بقوله { رَبَّنَا آمَنَّا نُنْتِنُ وَأَخِيَّتَنَا نُنتِنُ } وهذا مثل قوله { وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } [البقرة/28] وقد فسرناه هنالك.

قوله تعالى: { فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ } أي من النار إلى الدنيا لنعمل بالطاعة { مِّنْ سَبِيلٍ } وفي الكلام اختصار تقديره: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك وقيل لهم { ذَلِكَ } يعني العذاب الذي نزل بهم { يَأْتِي إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخَدَهُ كَفَرْتُمْ } أي: إذا قيل لا إله إلا الله أنكرتم، وإن جعل له شريكا شريك أمنتكم { فَالْحُكْمُ لِلَّهِ } فهو الذي حكم على المشركين بالنار. وقد بينا في سورة [البقرة/255] معنى العلي وفي [الرعد/9] معنى الكبير.

{ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ * وَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ }

شَيْءٌ لِّمَنْ لِّمَلِكٌ لِّيَوْمٍ لِلَّهِ لُؤْجِدٍ لِّقَهَّارٍ * لِّيَوْمٍ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ لِّيَوْمٍ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ {

{ هُوَ لِّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ { أي مصنوعاتهِ التي تدل على وحدانيته وقدرته، والرزق هاهنا المطر، سمي رزقا لأنه سبب الأرزاق، ويتذكر بمعنى يتعظ. وينيب بمعنى يرجع إلى الطاعة. ثم أمر المؤمنين بتوحيده فقال { فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ { أي موحدين.

قوله تعالى: { رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ } قال ابن عباس: يعني رافع السموات. وحكى الماوردي عن بعض المفسرين قال: معناه عظيم الصفات.

قوله تعالى: { ذُو الْعَرْشِ } أي خالقه ومالكه.
قوله تعالى: { يُلْقَى الرُّوحَ } فيه خمسة أقوال.
أحدها: أنه القرآن.

والثاني: النبوة. والقولان: مرويان عن ابن عباس وبالأول قال ابن زيد. وبالثاني قال السدي.
والثالث: الوحي قاله قتادة. وإنما سمي القرآن والوحي روحا لأن قوام الدين به، كما أن قوام البدن بالروح.
والرابع: جبريل قاله الضحاك.
والخامس: الرحمة حكاه إبراهيم الحربي.
قوله تعالى: { مِنْ أَمْرِهِ } فيه ثلاثة أقوال.
أحدها: من قضائه قاله ابن عباس.
والثاني: بأمره قاله مقاتل.

والثالث: من قوله ذكره الثعلبي.
قوله تعالى: { عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } يعني الأنبياء.
{ لِيُنذِرَ } في المشار إليه قولان.
أحدهما: أنه الله عز وجل.

والثاني: النبي الذي يوحى إليه
والمراد ب { يَوْمَ التَّلَاقِ } يوم القيامة وأثبت ياء { التلاقي } في الحاليين ابن كثير ويعقوب وأبو جعفر. وافقهما في الوصل.
والباقون بغير ياء في الحاليين، وفي سبب تسميته بذلك خمسة أقوال:

أحدها: أنه يلتقي فيه أهل السماء والأرض، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس.

والثاني: يلتقي فيه الأولون والآخرون روي عن ابن عباس أيضا.
والثالث: يلتقي فيه الخلق والخالق قاله قتادو ومقاتل.
والرابع: يلتقي المظلوم والظالم قاله ميمون بن مهران.
والخامس: يلتقي المرء بعمله حكاه الثعلبي.
قوله تعالى: {الَّتِلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ} أي ظاهرون من قبورهم
{لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ} .
فإن قيل فهل يخفى عليه منهم اليوم شيء؟
فالجواب: أن لا، غير أن معنى الكلام التهديد بالجزاء، وللمفسرين
فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يخفى عليه مما عملوا شيء قاله ابن عباس.
والثاني: لا يستترون منه بجبل ولا مدر قاله قتادة.
والثالث: أن المعنى أبرزهم جميعا لأنه لا يخفى عليه منهم شيء،
حكاه الماوردي.
قوله تعالى: {لَمَنْ لُمْلُكٌ لِيَوْمٍ} اتفقوا على أن هذا يقوله الله
عز وجل بعد فناء الخلائق، واختلفوا في وقت قوله له على قولين:
أحدهما: أنه يقوله عند فناء الخلائق إذا لم يبق مجيب، فيرد هو
على نفسه فيقول {لِلَّهِ لُؤَاغِدِ الْقَهَّارِ} قاله الأكثرون.
والثاني: أنه يقوله يوم القيامة.
وفيمن يجيبه حينئذ قولان.

أحدهما: أنه يجيب نفسه، وقد سكت الخلائق لقوله، قاله عطاء.
والثاني: أن الخلائق كلهم يجيبونه فيقولون {لِلَّهِ لُؤَاغِدِ الْقَهَّارِ}
قاله ابن جريح.

{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأُزْفَةِ إِذْ لُفُلُوبٌ لَدَى لِحَنَاجِرٍ كَظْمِينَ مَّا
لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ * يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا
تُخْفَى الصُّدُورُ}

قوله تعالى: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأُزْفَةِ} فيه قولان:
أحدهما: أنه يوم القيامة قاله الجمهور. قال ابن قتيبة: وسميت
القيامة بذلك لقربها. يقال: أزف شخص فلان أي قرب.
والثاني: أنه يوم حضور المنية قاله قطرب.
قوله تعالى: {إِذَا * لُفُلُوبٌ لَدَى لِحَنَاجِرٍ} وذلك أنها ترتقي إلى
الحناجر فلا تخرج ولا تعود. هذا على القول الأول. وعلى الثاني:
القلوب هي النفوس تبلغ الحناجر عند حضور المنية قال الزجاج و
{كَظْمِينَ} منصوب على الحال، والحال محمولة على المعنى لأن

القلوب لا يقال لها: كاظمين وإنما الكاظمون أصحاب القلوب.
فالمعنى: إذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم. قال
المفسرون: كاظمين أي مغمومين ممتلئين خوفاً وحرناً، والكاظم
الممسك للشيء على ما فيه. وقد أشرنا إلى هذا عند قوله
{ وَ لِكَظْمِيْنَ لَعِيْظًا } [آل عمران/134].
{ مَا لِلظَّالِمِيْنَ } يعني الكافرين { مِنْ حَمِيْمٍ } أي قريب ينفعهم
{ وَلَا شَفِيْعٌ يُطَاعُ } فيهم فتقبل شفاعته.
{ يَعْْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ } قال ابن قتيبة: الخائنة والخيانة واحد.
وللمفسرين فيها أربعة أقوال:
أحدها: أنه الرجل يكون في القوم فتمر به المرأة فيريهم أنه
يغض بصره، فإذا رأى منهم غفلة لحظ إليها فإن خاف أن يفتنوا
له غض بصره، قاله ابن عباس.
والثاني: أنه نظر العين إلى ما نهى عنه قاله مجاهد.
والثالث: الغمز بالعين قاله الضحاك والسدي. قال قتادة: هو
الغمز بالعين فيما لا يحبه الله ولا يرضاه.
والرابع: النظرة بعد النظرة قاله ابن السائب.
قوله تعالى: { وَمَا تُخْفِي لِصُدُوْرٍ } فيه ثلاثة أقوال:
أحدها: ما تضمه من الفعل أن لو قدرت على ما نظرت إليه، قاله
ابن عباس.

والثاني: الوسوسة قاله السدي.

والثالث: ما يسره القلب من أمانة أو خيانة حكاها المارودي.

{ وَ اَللّٰهُ يَفْضِيْ بِ لِحَقِّ وَّ لِذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهٖ لَا يَقْضُوْنَ بِشَيْءٍ اِنْ
اَللّٰهُ هُوَ السَّمِيْعُ لَبِيْصِيْرٌ * اَوْلَمْ يَسِيْرُوْا فِى الْاَرْضِ فَيَنْظُرُوْا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ كَانُوْا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوْا هُمْ اَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَّ اَثَارًا
فِى الْاَرْضِ فَاخَذَهُمْ اَللّٰهُ بِذُنُوْبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ اِلٰهِ مِنْ وَّاقٍ *
ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانَتْ تَاْتِيَهُمْ رُسُلُهُمْ يَلْبِيْتُوْنَ فَكَفَرُوْا فَاخَذَهُمْ اَللّٰهُ اِنَّهٗ
قَوِيٌّ شَدِيْدٌ لِّعِقَابٍ * وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوْسٰى بِآيٰتِنَا وَ سُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ *
اِلٰى فِرْعَوْنَ وَ هٰمٰنَ وَ قَشِيْرٍ فَقَالُوْا سَجِرٌ كَذٰبٌ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ
بِ لِحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوْا اِنَّا اَنْبَآءٌ لِّذِيْنَ ءَامَنُوْا مَعَهُ وَ سَتَّخِيُوْا
نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِيْنَ اِلَّا فِى ضَلٰلٍ }

قوله تعالى: { وَ اَللّٰهُ يَفْضِيْ بِ لِحَقِّ } أي يحكم به فيجزي بالحسنة
والسيئة { وَ لِذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهٖ } من الآلهة وقرأ نافع وابن
عامر { تَدْعُوْنَ } بالتاء على معنى: قل لهم: { لَا يَقْضُوْنَ بِشَيْءٍ }

أي لا يحكمون بشيء ولا يجازون به وقد نبه الله عز وجل بهذا على أنه حي، لأنه إنما يأمر ويقضي من كان حيا، وأيد ذلك بذكر السمع والبصر لأنهما إنما يشبان لحي قاله أبو سليمان الدمشقي. وما بعد هذا قد تقدم بعضه [يوسف/109] وبعضه ظاهر إلى قوله: {كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً} وقرأ ابن عامر {أَشَدَّ مِنْكُمْ} بالكاف وكذلك هو في مصاحفهم وهو على الانصراف من الغيبة إلى الخطاب {وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ} أي من عذاب الله {مِنَ وَاقٍ} بقي العذاب عنهم.

{ذَلِكَ} أي ذلك العذاب الذي نزل بهم {بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ} {لَبَيِّنَاتٍ} إلى آخر الآية.

ثم ذكر قصة موسى وفرعون ليعتبروا وأراد بقوله {قُتِلُوا أَبناءَ لَدِينٍ ءَامَنُوا مَعَهُ} أعيدوا القتل عليهم كما كان أولا قاله ابن عباس. وقال قتادة: كان فرعون قد كف عن قتل الولدان، فلما بعث الله موسى أعاد عليهم القتل ليصدهم بذلك عن متعابة موسى.

قوله تعالى: {وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ} أي إنه يذهب باطلا ويحيق بهم ما يريد الله عز وجل.

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ * وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صٰدِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كٰذِبٌ * يَقُومَ لَكُمْ لِمُلْكِ لِيَوْمِ ظَهْرَيْنَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنَ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ * وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ ذٰلِكَ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ * وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِلَيِّنَاتٍ فَمَا زَلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ {

{ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى } وإنما قال هذا لأنه كان في خاصة فرعون من يمنعه من قتله خوفا من الهلاك { وَلَيَدْعُ رَبَّهُ } الذي يزعم أنه أرسله فليمنعه من القتل { إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ } أي عبادتكم إياي و{ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ } قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر { وَأَنْ } بغير ألف، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي { أَوْ أَنْ } بألف قبل الواو على معنى إن لم يبدل دينكم أوقع الفساد إلا أن نافعا وأبا عمرو قرأ { يُظْهِرُ } بضم الياء { لِفَسَادٍ } بالنصب وقرأ الباكون { يُظْهِرُ } بفتح الياء الفساد بالرفع والمعنى:

يظهر الفساد بتغيير أحكامنا فجعل ذلك فسادا بزعمه وقيل: يقتل أبناءكم كما تفعلون بهم.

فلما قال فرعون هذا استعاذ موسى بربه فقال { إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ } قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر { عُذْتُ } مبينة الذال وأدغمها أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف { مَنْ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ } أي متعظم عن الإيمان فقصده فرعون قتل موسى فقال حينئذ { رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ } .
وفي الآل هاهنا قولان.

أحدهما: أنه بمعنى الأهل والنسب قال السدي ومقاتل، كان ابن عم فرعون، وهو المراد بقوله { وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى } [القصص/20].

والثاني: أنه بمعنى القبيلة والعشيرة قال قتادة ومقاتل: كان قبطيا، وقال قوم كان إسرائيليا وإنما المعنى: قال رجل مؤمن بكم إيمانه من آل فرعون، وفي اسمه خمسة أقوال:
أحدها: حزيل قاله ابن عباس ومقاتل،
والثاني: حبيب قاله كعب،

والثالث: سمعون بالسين المهملة قاله شعيب الجبائي،
والرابع: جبريل.

والخامس: شمعان بالشين المعجمة روى عن ابن إسحاق، وكذلك حكى الزجاج شمعان بالشين، وذكره ابن ماكولا بالشين المعجمة أيضا، والأكثر على أنه آمن بموسى لما جاء، وقال الحسن: كان مؤمنا قبل مجيء موسى، وكذلك امرأة فرعون، قال مقاتل: كتم إيمانه من فرعون مائة سنة قوله تعالى { أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ } أي لأن يقول { رَبِّيَ اللَّهُ } وهذا استفهام إنكار { وَقَدْ مُوسَى }

لَبَيِّنَاتٍ { أَي بِمَا يَدُلُّ عَلَىٰ صِدْقِهِ } وَإِن يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ { أَي لَا يَضُرُّكُمْ ذَلِكَ } وَإِن يَكُ صَدِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ لِّذَىٰ يَعِدُكُمْ { مِنْ الْعَذَابِ، وَفِي بَعْضِ ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:
أحدها: أنها بمعنى كل قاله أبو عبيدة وأنشد للبيد:
تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يعتلق بعض النفوس حمامها

أراد: كل النفوس.
والثاني: أنها صلة والمعنى يصيبكم الذي يعدكم حكي عن الليث.
والثالث: أنها على أصلها ثم في ذلك قولان.
أحدهما: أنه وعدهم النجاة إن آمنوا، والهلاك إن كفروا، فدخل ذكر البعض لأنهم على أحد الحالين.
والثاني: أنه وعدهم على كفرهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة فصار هلاكهم في الدنيا بعض الوعد، ذكرهما الماوردي.
قال الزجاج: هذا باب من النظر يذهب فيه المناظر إلى إلزام الحجة بأيسر ما في الأمر، وليس في هذا نفي إصابة الكل، ومثله قول الشاعر:
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل

وإنما ذكر البعض ليوجب الكل، لأن البعض من الكل، ولكن القائل إذا قال: أقل ما يكون للمتأني إدراك بعض الحاجة، وأقل ما يكون للمستعجل الزلل، فقد أبان فضل المتأني على المستعجل بما لا يقدر الخصم أن يدفعه، فكان المؤمن قال لهم، أقل ما يكون في صدقة أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم. قال:
وأما بيت لبيد فإنه أراد ببعض النفوس نفسه وحدها.
قوله تعالى: { إِنَّ لِلَّهِ لَا يَهْدِي } أَي لَا يُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ { مَنْ هُوَ مُشْرِفٌ } وفيه قولان.
أحدهما: أنه المشرك قاله قتادة.

والثاني: أنه السفاك للدم قاله مجاهد.
قوله تعالى: { ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ } أَي عَالِينَ فِي أَرْضِ مِصْرَ { فَمَنْ يَنْصُرُنَا } أَي مَنْ يَمْنَعُنَا { مِنْ بَأْسِ اللَّهِ } أَي مِنْ عَذَابِهِ والمعنى: لا تتعرضوا للعذاب بالتكذيب وقتل النبي، فقال فرعون عند ذلك { مَا أَرِيكُمْ } مِنَ الرَّأْيِ وَالنَّصِيحَةِ { إِلَّا مَا أَرَى } لِنَفْسِي

{ وَمَا أَهْدِيكُمْ } أي أدعوكم إلا إلى طريق الهدى في تكذيب موسى والإيمان بي، وهذا يدل على أنه انقطع عن جواب المؤمن.
{ وَقَالَ لِّذِي ءَامَنَ يَقَوْمٍ قَوْمٌ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ الْأَخْرَابِ } قال الزجاج: أي مثل يوم حزب حزب والمعنى أخاف أن تقيموا على كفركم فينزل بكم من العذاب مثل ما نزل بالأمم المكذبة رسلهم.

قوله تعالى: { يَوْمَ اللَّتَانِ } قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي { اللَّتَانِ } بغير ياء وأثبت الياء في الوصل. والوقف ابن كثير ويعقوب وافقهم أبو جعفر في الوصل وقرأ أبو بكر الصديق وابن عباس وسعيد بن المسيب وابن جبير وأبو العالية والضحاك { اللَّتَانِ } بتشديد الدال. قال الزجاج: أما إثبات الياء فهو الأصل وحذفها حسن جميل لأن الكسرة تدل على الياء، وهو رأس آية وأواخر هذه الآيات على الدال. ومن قرأ بالتشديد فهو من قولهم: ند فلان ونذ البعير إذا هرب على وجهه، ويدل على هذا قوله { يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ } وقوله { يَوْمَ يَفِرُّ لَمْرُءٌ مِنْ أَخِيهِ } [عبس/34] قال أبو علي: معنى الكلام إني أخاف عليكم عذاب يوم التناد. قال الضحاك: إذا سمع الناس زفير جهنم وشهيقها ندوا فرارا منها في الأرض فلا يتوجهون قطرا من أقطار الأرض إلا رأوا ملائكة فيرجعون من حيث جاؤوا.

وقال غيره: يؤمر بهم إلى النار فيفرون ولا عاصم لهم فأما قراءة التخفيف فهي من النداء وفيها للمفسرين أربعة أقوال: أحدها: أنه عند نفخة الفزع ينادي الناس بعضهم بعضا. روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يأمر الله عز وجل إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول أنفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فتسير الجبال وترج الأرض وتذهل المراضع وتضع الحوامل ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو قوله { يَوْمَ اللَّتَانِ }.
والثاني: أنه نداء أهل الجنة والنار بعضهم بعضا كما ذكر في [الأعراف/44-50] وهذا قول قتادة.
والثالث: أنه قولهم يا حسرتنا يا ويلتنا قاله ابن جريج.
والرابع: أنه ينادى فيه كل أناس بإمامهم بسعادة السعداء وشقاوة الأشقياء.
قوله تعالى: { يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ } فيه قولان.

أحدهما: هربا من النار.

والثاني: أنه انصرفهم إلى النار.

قوله تعالى: { مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ } أي من مانع.

قوله تعالى: { وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ } وهو يوسف بن يعقوب.

ويقال إنه ليس به وليس بشيء.

قوله تعالى: { مِن قَبْلُ } أي من قبل موسى { لِئَلَّا يَكُونَ } وهي الدلالات على التوحيد كقوله { مَتَفَرِّقُونَ خَيْرًا } الآية [يوسف/

39] وقال ابن السائب: البينات تعبير الرؤيا وشق القميص.

وقيل: بل بعثه الله تعالى بعد موت ملك مصر إلى القبط.

قوله تعالى: { فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ } أي من عبادة

الله وحده { حَتَّى إِذَا هَلَكَ } أي مات { قُلْتُمْ لَن نَّبْعَثَ اللَّهَ مِن بَعْدِهِ

رَسُولًا } أي إنكم أقمتهم على كفركم ووطنتم أن الله لا يجدر

الحجة عليكم { كَذَلِكَ } أي مثل هذا الضلال { يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ

مُشْرِكٌ } أي مشرك { مُزْتَابٌ } أي شاك في التوحيد وصدق

الرسول.

{ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرًا مَّقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ بَن لِي صِرْحًا لَعَلَّ أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ {

قوله تعالى: { الَّذِينَ يُجَادِلُونَ } قال الزجاج: هذا تفسير المسرف

المرتاب والمعنى: هم الذين يجادلون في آيات الله. قال

المفسرون: يجادلون في إبطالها والتكذيب بها بغير سلطان أي:

بغير حجة أتتهم من الله.

{ كَبْرًا مَّقْتًا } أي كبر جدالهم مقتا عند الله وعند الذين آمنوا

والمعنى: يمقتهم الله ويمقتهم المؤمنون بذلك الجدل.

{ كَذَلِكَ } أي كما طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا وجادلوا

بالباطل يطبع { عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ } عن عبادة الله وتوحيده.

وقد سبق بيان معنى الجبار في [هود/ 59] وقرأ أبو عمرو { عَلَى

كُلِّ قَلْبٍ } بالتنوين وغيره من القراء السبعة يضيفه. وقال أبو

علي: المعنى: يطبع على جملة القلب من المتكبر واختار قراءة

الإضافة الزجاج: قال: لأن المتكبر هو الإنسان لا القلب.

فإن قيل: لو كانت هذه القراءة أصوب لتقدم القلب على الكل، فالجواب: أن هذا جائز عند العرب قال الفراء تقدم هذا وتأخره واحد سمعت بعض العرب يقول هو يرجل شعره يوم كل جمعة يريد كل يوم جمعة والمعنى واحد. وقد قرأ ابن مسعود وأبو عمران الجوني { عَلَى قَلْبِكَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ } بتقديم القلب.

قال المفسرون: فلما وعظ المؤمن فرعون وزجره عن قتل موسى قال فرعون لوزيره { فَرْعَوْنُ يَهْمَنُ بِنِ لِي صَرْحًا } وقد ذكرناه في [القصص 38].

قوله تعالى: { لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ * } لَسَّمَوَاتٍ { قال ابن عباس، وقتادة: يعني أبوابها. وقال أبو صالح طرقها. وقال: غيره المعنى: لعلني أبلغ الطرق من سماء إلى سماء. وقال الزجاج لعلني أبلغ ما يؤديني إلى السموات.

وما بعد هذا المفسر في [القصص/38] إلى قوله { وَكَذَلِكَ } أي ومثل ما وصفنا { زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءِ عَمَلِهِ وَصُدَّ } عن سبيل الهدى قرأ عاصم وحمزة والكسائي { وَصُدَّ } بضم الصاد والباقيون بفتحها. { وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ } في إبطال آيات موسى { إِلَّا فِي تَبَابٍ } أي في بطلان وخسران.

{ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَقَوْمِ نُبْعُونَ أهدكم سبيلَ الرِّشَادِ * يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ لِحْيَوُهُ الدُّنْيَا مَتِيعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارٌ لِقَرَارٍ * مَنِ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ دُونِ أُنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ لِحْنَةَ يُرْرُقُونَ فِيهَا بغير حسابٍ }

ثم عاد الكلام إلى نصيحة المؤمن لقومه وهو قوله { نُبْعُونَ أهدكم سبيلَ الرِّشَادِ } أي طريق الهدى { سبيلَ الرِّشَادِ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ لِحْيَوُهُ الدُّنْيَا } يعني الحياة في هذه الدار متاع يتمتع بها أياما ثم تنقطع { وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارٌ لِقَرَارٍ } التي لازوال لها. { مَنِ عَمِلَ سَيِّئَةً } فيها قولان.

أحدهما: أنها الشرك ومثلها جهنم قاله الأكثرون.

والثاني: المعاصي ومثلها العقوبة بمقدارها. قاله أبو سليمان الدمشقي. فعلى الأول العمل الصالح التوحيد وعلى الثاني هو على الإطلاق.

قوله تعالى: { فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ لِحْنَةَ } قرأ ابن كثير وأبو عمرو يدخلون بضم الياء وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بالفتح وعن عاصم كالقراءتين.

وفي قوله: {بِغَيْرِ حِسَابٍ} قولان.
أحدهما: أنهم لا تبعه عليهم فيما يعطون في الجنة قاله مقاتل.
والثاني: أنه يصب عليهم الرزق صبا بغير تقدير قاله أبو سليمان
الدمشقي.

{وَيَقُومَ مَا يَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَيَدْعُونِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونِي
لَاكْفَرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ
لِغَفَارٍ * لَا جَزَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي
الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنْ لِمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ *
فَيَسْتَدْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ * فَوْقَهُ اللَّهُ سِنِينَ مَا مَكْرُواً وَخَاقٍ بِأَلٍ فِرْعَوْنَ سُوً
لِغَذَابٍ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
أَدْخِلْ آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ }

قوله تعالى: {بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ} أي مالكم كما تقول ما لي
أراك حزينا معناه: مالك ومعنى الآية: أخبروني كيف هذه الحال
أدعوكم {إلى أدعوكم} من النار بالإيمان {وتدعونني إلى النار}
أي إلى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر الدعوتين بما بعد هذا.
ومعنى {لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ} أي لا أعلم هذا الذي ادعوه شريكا له
وقد سبق بيان ما بعد هذا [البقرة/129] [طه/82] إلى قوله
{لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ} وفيه قولان:

أحدهما: ليس له استجابة دعوة قاله السدي.
والثاني: ليس له شفاعة قاله ابن السائب.

قوله تعالى: {وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ} أي مرجعنا. والمعنى: أنه
يجازينا بأعمالنا وفي المسرفين قولان قد ذكرناهما عند قوله
{مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} [غافر/28].

قوله تعالى: {فَيَسْتَدْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ} وقرأ ابن مسعود وأبو
العالية وأبو عمران الجوني وأبو رجاء {فَيَسْتَدْكُرُونَ} بفتح الذال
وتخفيفها وتشديد الكاف وفتحها. وقرأ أبي بن كعب وأيوب
السختياني بفتح الذال والكاف وتشديدهما جميعا. أي: إذا نزل
العذاب بكم ما أقول لكم في الدنيا من النصيحة.

{وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ} أي أردته وذلك أنهم تواعدوه لمخالفته
دينهم {إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} أي بأوليائه وأعدائه.

ثم خرج المؤمن عنهم فطلبوه فلم يقدرُوا عليه ونجا مع موسى
لما عبر البحر فذلك قوله {فَوْقَهُ اللَّهُ سِنِينَ مَا مَكْرُواً} أي ما

أرادوا به من الشر { وَخَاقٍ بَيِّنًا فِرْعَوْنَ } لما لجوا في البحر { سُوءَ لِعَذَابٍ } قال المفسرون هو الغرق.
قوله تعالى: { لَنَّا يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا } قال ابن مسعود وابن عباس: إن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين فيقال: يا آل فرعون هذه داركم وروري ابن جرير قال حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير قال: حدثنا حماد بن محمد البلخي قال سمعت الأوزاعي وسأله رجل فقال: رأينا طيوراً تخرج من البحر فتأخذ ناحية الغرب بيضا فوجاً فوجاً لا يعلم عددها إلا الله، فإذا كان العشي رجع مثلها سوداً قال: وفطنتم إلى ذلك قال: نعم إن تلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيا فترجع إلى وكورها وقد احترقت ريشها وصارت سوداء فینبت عليها من الليل ريش بيض وتتناثر السود ثم تغدو ويعرضون على النار غدواً وعشيا، ثم ترجع إلى وكورها فذلك دأبها في الدنيا فإذا كان يوم القيامة قال الله عزوجل { أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ لِعَذَابٍ } وقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة».

وهذه الآية تدل على عذاب القبر لأنه بين ما لهم في الآخرة فقال { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا } قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر وأبان عن عاصم { السَّاعَةُ أَدْخِلُوا } بالضم وضم الخاء على معنى الأمر لهم بالدخول والابتداء على قراءة هؤلاء بضم الألف. وقرأ الباقر بالقطع مع كسر الخاء على جهة الأمر للملائكة بإدخالهم وهؤلاء يبتدون بفتح الألف.

{ وَإِذْ يَتَخَاجُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا تَصِيبًا مِّنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ * وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ لِعَذَابٍ * قَالُوا أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي

**لَحْيَوَةَ الَّذِينَ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ
مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمْ لَلْعَنَةُ وَلَهُمْ سُؤُ الدَّارِ {**

قوله تعالى: { وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ } المعنى: واذكر لقومك يا محمد إذ يختصمون يعني أهل النار. والآية مفسرة في سورة [إبراهيم/21] والذين استكبروا هم القادة ومعنى { إِنَّا كُلُّ فِيهَا } أي نحن وأنتم { إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ } أي قضى هذا علينا وعليكم ومعنى قول الخزنة لهم { فادعوا } أي نحن لا ندعو لكم { وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ } أي إن ذلك يبطل ولا ينفع. { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ لِدِينِ ءَامَنُوا فِي لَحْيَوَةَ الَّذِينَ } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أن ذلك بإثبات حججهم.

والثاني: بأهلاك عدوهم.

والثالث: بأن العاقبة تكون لهم وفصل الخطاب أن نصرهم حاصل لا بد منه فتارة يكون باعلاء أمرهم كما أعطى داود وسليمان من الملك ما قهرا به كل كافر وأظهر محمدا صلى الله عليه وسلم على مكذبيه. وتارة يكون بالانتقام من مكذبيهم بانجاء الرسل وإهلاك أعدائهم كما فعل بنوح وقومه وموسى وقومه. وتارة يكون بالانتقام من مكذبيهم بعد وفاة الرسل كتسليطه بختنصر على قتلة يحيى بن زكريا. وأما نصرهم يوم يقوم الأشهاد فإن الله منجيهم من العذاب وواحد الأشهاد شاهد كما أن واحد الأصحاب صاحب. وفي الأشهاد ثلاثة أقوال:

أحدها: الملائكة شهدوا للأنبياء بالإبلاغ وعلى الأمم بالتكذيب قاله مجاهد والسدي. قال مقاتل:

وهم الحفظة من الملائكة.

والثاني: الملائكة والأنبياء قاله قتادة.

والثالث: أنهم أربعة الأنبياء والملائكة والمؤمنون والجوارح قاله ابن زيد.

قوله تعالى: { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ } قرأ ابن كثير وأبو عمرو تنفع بالتاء. والباقون بالياء لأن المعذرة والاعتذار بمعنى { الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ } أي لا يقبل منهم إن اعتذروا { وَلَهُمْ لَلْعَنَةُ } أي البعد من الرحمة وقد بينا في [الرعد/25] أن لهم بمعنى عليهم و { سُوء الدَّارِ } النار.

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ لِكِتَابٍ * هُدًى
وَذِكْرٍ لِّلأُولَى الْأَلْبَابِ * وَصَبْرٍ إِن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَ سِتِّغْفِرُ لِدُنْيَاكَ
وَيَسْبُحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ * إِن الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ
اللَّهِ يَغْبِرُ سُلْطَنَ أَتَهُمُ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ
وَ سِتِّعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا يَسْتَوِي
الْأَعْمَىٰ وَ الْبَصِيرُ وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيرُ
قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ * إِن السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِن أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُوا اسْتَجِبْ لَكُمْ إِن لِّدِينِ
بِسْتَكْبَرُونَ عَنِ عِبَادَتِي سَبِّدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دُخْرِينَ * اللَّهُ لِيذِي جَعَلَ
لَكُمْ لَيْلًا لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا إِن اللَّهُ لِيذُو فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقُ
كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآتِي تَوْفِكُونَ * كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * اللَّهُ لِيذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ السَّمَاءَ
بِنَاءً وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ
رَبُّكُمْ فَتَبَرَّكَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ * هُوَ لَحَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لِحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * قُل إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ
لِذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِمَا جَاءَنِي لَبَّيْتُ مِنْ رَبِّي وَ أَمَرْتُ أَنْ
أَسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * هُوَ لِيذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَطْفَةٍ ثُمَّ
مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا
وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ وَ لِتَبْلُغُوا أَجْلًا مَسْمُومًا وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *
{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ } من الضلالة يعني التوراة { وَأَوْزَنَّا
بَنِي إِسْرَائِيلَ لِكِتَابٍ } بعد موسى وهو التوراة أيضا في قول
الأكثرين.

وقال ابن السائب التوراة والإنجيل والزبور والذكري بمعنى
التذكير.

{ فَ صَبْرٍ } على أذاهم { إِن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا } في نصرته وهذه الآية
في هذه السورة في موضعين [غافر/55-77] وقد ذكروا أنها
منسوخة بآية السيف، ومعنى: { سَبِّحْ } صل،
وفي المراد بصلاة العشي والإبكار ثلاثة أقوال:
أحدها: أنها الصلوات الخمس قاله ابن عباس،
والثاني: صلاة الغداة وصلاة العصر قاله قتادة.

والثالث: أنها صلاة كانت قبل أن تفرض الصلوات ركعتان غدوة وركعتان عشية قاله الحسن.

وما بعد هذا قد تقدم آنفا [المؤمن/ 4] إلى قوله {إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ} الآية نزلت في قريش والمعنى: ما يحملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من التكبر عليك وما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر لأن الله تعالى مدلهم {وَسْتَعِذْ بِاللَّهِ} من شرهم ثم نبه على قدرته بقوله {لِخَلْقِ * السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} أي من إعادتهم وذلك لكثرة أجزائها وعظم جرمها فنبههم على قدرته على إعادة الخلق {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} يعني الكفار حين لا يستدلون بذلك على التوحيد. وقال مقاتل: عظمت اليهود الدجال وقالوا إن صاحبنا يبعث في آخر الزمان وله سلطان فقال الله {إِنَّ لِدِينِ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ} لأن الدجال من آياته {بِغَيْرِ سُلْطَانٍ} أي بغير حجة فاستعد بالله من فتنة الدجال قال: والمراد ب {خَلْقِ النَّاسِ} الدجال وإلى نحو هذا ذهب أبو العالية والأول أصح.

وما بعد هذا ظاهر إلى قوله {عُوقِبَ أَسْحَابُ كُفْرِهِمْ فِيهِ قَوْلَانِ. أَحَدُهُمَا: وَحَدُونِي وَاعْبُدُونِي أَتَيْتُكُمْ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

والثاني: سلونني أعطكم قاله السدي.

{إِنَّ لِدِينِ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي} فيه قولان.

أحدهما: عن توحيد.

والثاني: عن دعائي ومسألتي {سَيَذْخُلُونَ جَهَنَّمَ} قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم وعباس بن الفضل عن أبي عمرو {سَيَذْخُلُونَ} بضم الياء والباقون بفتحها والداخر الصاغر.

وما بعد هذا قد سبق في مواضع متفرقة [يونس/67] [القصص/

73] [الأنعام/95] [النمل/61] [الأعراف/54-29] [الحج/5] إلى

قوله {وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى} وهو أجل الحياة إلى الموت

{وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} توحيد الله وقدرته.

{أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُضَرِّفُونَ * لِدِينِ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أُرْسِلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الْأَعْلَى

فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي لَحْمِيمٍ تُمْ فِي النَّارِ

يُسْحَرُونَ * تُمْ قِيلَ لَهُمْ أَنْ مَّا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ

قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ

لِكَافِرِينَ * ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَمَا

كُنْتُمْ تَمْرُحُونَ * اَدْخُلُوا ابْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى
لِ الْمُتَكْبِرِينَ * وَظُنُّوا ان وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَاِذَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ
اَوْ تَتَوَفَّيْتِكَ فَاَلَيْتَا يَرْجِعُونَ * وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ
مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْضِمْ عَلَيْهِ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ اَنْ يَّاتِيَ
بِآيَةٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللَّهِ فَاِذَا جَاءَ اَمْرٌ بِاللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ
الْمُتَبَدِّلُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لِكْمًا لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ
وَعَلَيْهَا وَعَلَى لِفْلَكٍ تُجْمَلُونَ * وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَاِذَا آيَاتُ اللَّهِ
تُنكَرُونَ * اَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْاَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ
مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا اَكْثَرَ مِنْهُمْ وَاَشَدَّ قُوَّةً وَّءَاتَارًا فِي الْاَرْضِ فَمَا
اَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
قَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ وَخَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ *
فَلَمَّا رَاوْا بَاسَنَا قَالُوا اءَاْمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ
* فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ اِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَاوْا بَاسَنَا سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ
فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ {

{ اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ } يعني القرآن يقولون
ليس من عند الله { اَتَى يُضَرْفُونَ } أي كيف صرفوا عن الحق إلى
الباطل وفيهم قولان.

أحدهما: أنهم المشركون قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم القدرية ذكره جماعة من المفسرين. وكان ابن
سيرين يقول: إن لم تكن نزلت في القدرية فلا أدري فيمن نزلت.
وقرأ ابن مسعود وابن عباس وأبو رزين وأبو مجلز والضحاك وابن
يعمر وابن أبي عمير { وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ } بفتح اللام والياء
وقال ابن عباس: إذا سحبوها كان أشد عليهم.

قوله تعالى: { يُسْحَرُونَ } قال مجاهد: توقد بهم النار فصاروا
وقودها.

قوله تعالى: { اَيْنَ مَا مَّآ تُشْرِكُونَ } مفسر في [الأعراف/190].
وفي قوله: { لَمْ تَكُنْ تُدْعَوْنَ مِنْ قَبْلُ شَيْئًا } قولان.

أحدهما: أنهم أرادوا أن الأصنام لم تكن شيئاً لأنها لم تكن تضر ولا
تنفع وهو قول الأكثرين.

والثاني: أنهم قالوه على وجه الجحود قاله أبو سليمان الدمشقي.
{ كَذَلِكَ } أي كما أضل الله هؤلاء يضل الكافرين.

{ذَلِكُمْ} العذاب الذي نزل بكم {يَمَّا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ} فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ لِحَقٍّ {أَي بِالْبَاطِلِ} {وَيَمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ} وقد شرحنا المرح في [بني إسرائيل/37] وما بعد هذا قد تقدم بتمامه [النحل/29] [يونس/109] [النساء/164] إلى قوله: {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} وذلك لأنهم كانوا يقترحون عليه الآيات {فَإِذَا جَاءَ أَمْرٌ لِلَّهِ} وهو قضاؤه بين الأنبياء وأممهم و {لُمْبُطِلُونَ} أصحاب الباطل.

قوله تعالى: {وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ} أي حوائجكم في البلاد.

قوله تعالى: {وَيُؤَيِّدُكُم بِأَيْتِهِ فَآيَةٌ آيَاتِ} استفهام توبيخ.

قوله تعالى: {فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ} في ما قولان.

أحدهما: أنها للنفي.

والثاني: أنها للاستفهام ذكرهما ابن جرير.

قوله تعالى: {فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنْ عِلْمٍ} في المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم الأمم المكذبة قاله الجمهور ثم في معنى الكلام قولان.

أحدهما: أنهم قالوا نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نحاسب قاله مجاهد.

والثاني: فرحوا بما كان عندهم أنه علم قاله السدي.

والقول الثاني: أنهم الرسل والمعنى فرح الرسل لما هلك المكذبون ونجوا بما عندهم من العلم بالله إذ جاء تصديقه حكاة أبو سليمان وغيره.

قوله تعالى: {وَوَخَّاقَ بِهِمْ} يعني بالمكذبين العذاب الذي كانوا به يستهزؤون والبأس العذاب ومعنى {سُنَّةَ اللَّهِ} أنه سن هذه السنة في الأمم أي أن إيمانهم لا ينفعهم إذا رأوا العذاب {وَوَخَّسِرَ هُنَالِكَ لَكَفِرُونَ}.

فإن قيل: كأنهم لم يكونوا خاسرين قبل ذلك؟ فعنه جوابان.

أحدهما: أن خسر بمعنى هلك قاله ابن عباس.

والثاني: أنه إنما بين لهم خسرانهم عند نزول العذاب قاله الزجاج.

